

الشيخ الأزهرى ثآبت - آياته و آثاره -

أ.عبد الحميد كحيحه

مقدمة

الحمد لله الذى خلق الإنسان، وعلمه البيان، وأنزل القرآن، بلسان عربى مبين، ثم الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى، المبعوث رحمة للعالمين، إمام البلغاء، وسيد الفصحاء، الذى أوتى الحكمة وفصل الخطاب، وبعد:

" إن مثل العلماء العاملين المصلحين كمثل الماء المعين، هذا يسوقه الله إلى الأرض الجرز فتهتز بعد همود، وتربو بعد جمود، فتنبت ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وأولئك يبعثهم الله فى أمتهم فيؤذنون فيها فتستيقظ بعد رقود، و تتحرك بعد ركود وتهض بعد قعود، وتنشط بعد خمود، وترشد بعد غواية، وتتآلف بعد تخالف، وتتعارف بعد تناكر، وتتصالح بعد تدابر، وتنسجم بعد تنافر، وتتوحد بعد تفرق وتلتئم بعد تمزق، وتتخلق بعد انحلال، وتنظم بعد اختلال، وتصح بعد اعتلال وتهتدي بعد ظلام، وتذكر بعد نسيان، وتتآخى بعد عدوان"1.

إن منطقة الجنوب الشرقى الجزائرى تزخر بعلماء أجلاء أفذاذ لا يمكن إغفال انجازاتهم ومجهوداتهم الجبارة فى مجال الأدب واللغة ومختلف العلوم الأخرى كعلوم القرآن والتاريخ... الخ.

فمنهم من رحل إلى الرفيق الأعلى ومنهم من يزال على قيد الحياة ومن بين هؤلاء الشيخ العلامة "الأزهرى ثآبت"، الذى يعدّ من أبرز شيوخ منطقة المغير الى جانب العلامة الشيخ "عبد المجيد حبة" و "إبراهيم بوحنيك".

1/ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: جمع و تقديم د: أحمد طالب الإبراهيمي، ج1 ، دار الغرب الإسلامى بيروت لبنان ط1 ، 1997 ، ص 25

و لقد وددت أن أتناول شخصية الشيخ العلامة الأزهرى ثآبت محاولا تسليط الضوء على حياته وأهم آثاره التى لا تزال مخطوطة بخط يده . فى هذا الملتقى الوطنى حول الحركة اللغوية والأدبية فى الجنوب الشرقى الجزائرى و الذى سنحت

لي الفرصة أن أكون أحد المشاركين فيه ،متوجها بجزيل الشكر والامتنان إلى السيد:مدير مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري الأستاذ الدكتور: بوبكر حسيني الذي منحني فرصة المشاركة في هذا الملتقى العلمي راجيا من الله تعالى سداد الرأي و أن أوفق فيما قصدت إليه نبذة عن حياة الشيخ العلامة الأزهرى ثابت :

هو الأزهرى بن لخضر ثابت المولود سنة 1923 م بالمغير ولاية الوادي، نشأ وسط عائلة محافظة تعتمد على زراعة النخيل و في جو ديني، تولى والده الشيخ الأخضر ثابت وضعه على المسار الصحيح، إذ أدخله الكتاب ثم عهد بتعليمه الى الشيخ المصلح العامل "علي خليل" رحمه الله و مشائخ آخرين كالطاهر بن ريزوق، و الطاهر حركاتي و علي بن عقورة ، و السعيد بن جحيش الرحماني و غيرهم ولقد حدثني قال: "لما بلغت سن الرابعة من عمري و يزيد أدخلني والدي المكاتب القرآنية الى جانب مدرسة التربية و التعليم، و في هذه المرحلة كان أبي يزودني بمبادئ اضافية في النحو و الصرف و الدين، ولقد حفظت القرآن في سن لا يتجاوز اثني عشر عاما و ذلك من فضل الله تعالى، ثم المعلمين رحمهم الله و في تلك الفترة المبكرة أدت صلوات التراويح مبدئيا بالعائلة بإشراف والدي رحمه الله، وبعدها و بطلب من أهالي المنطقة أصبحت أؤدي صلوات التراويح في مسجد الحاج الشاوي "بلال بن رباح" حاليا

بالمغير إماما، و الحمد لله من قبل و من بعد "1

وفي عام 1936 انتقل إلى الجزائر العاصمة لتلقي المزيد من العلوم على يد إمام الزاوية العلوية و في سنة 1938/ 1939 انتقل إلى قسنطينة لتلقي العلوم على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد النهضة ليتحول بعدها ضمن بعثة علمية إلى تبسة أين درس على يد الشيخ العربي التبسي .

عن الشيخ: الأزهرى ثابت، في جلسة علمية يوم 2011/11/30 على الساعة: 10:00 و في سنة 1947 توجه الشيخ ضمن بعثة علمية إلى حاضرة الزيتونة بتونس إلى أن نال شهادة الأهلية سنة 1948 و كان أحد أعضاء جمعية الطلبة الجزائريين بتونس ليعود بعدها إلى ارض الوطن معلما في إطار التعليم الجزائري الحر، فكانت مدينة القل أول خطة تعليمية قدم فيها الشيخ الدروس ليعود بعدها إلى مسقط رأسه المغير أين أعاد فتح مدرسة النجاح رفقة أحد رفقاؤه الشيخ

إبراهيم بوحنيك و كان ذلك سنة 1953 أبرز الطلبة الذين تتلمذوا على يد الشيخ الأزهرى ثابت: الدكتور عبد الرزاق قسوم، محمد لحسن زغيدي، عمر بوحنيك، بشير بوحنيك، إبراهيم بوزقاق الشهيد أحمد بوزقاق، الشهيد محمد شهرة، إسماعيل بوزوايد.

نشاطه السياسي إبان الثورة التحريرية الكبرى :

كان الشيخ من أبرز أعضاء الحركة الوطنية في المغرب، وغداة اندلاع الثورة التحريرية لم يتوان لحظة في الانضمام إليها فكان ضمن اللجنة الأولى في المغرب .

تدعم وتساعد الثورة و لقد عين عريفا سياسيا في اللجنة المدنية لجمع السلاح و التموين إلى جيش التحرير للولاية الأولى وذلك ما بين المغرب، جامعة، تقرت، خلال 1957/1955 إلى جانب الشيخ عبد المجيد حبة/الطيب بوزقاق/ العيد بالرمضان/ عبد الله قسوم/ إبراهيم بوحنيك.

وبعد اكتشاف السلطات الاستعمارية لنشاطه السياسي التحق عام 1957 بجيش التحرير الوطني ناحية كيمل بخنشلة و أعطيت له المسؤولية كقاضي سياسي و كاتب للأحداث .

ثم انتقل إلى الحدود الجزائرية التونسية أين تلقى المسؤولية السياسية لناحية توزر ثم أُرديف عام 1960/1958 بإشراف الأخوين إبراهيم إبراهيمي و الضابط الطاهر يونسى مساعد مصطفى بن بوالعيد.و في 1960 أرسل ضمن معطوبي الحرب إلى بلغراد (يوغسلافيا) بغرض العلاج .

و مع بزوغ فجر الاستقلال دخل مع جيش الحدود الجزائري، ليستقر في بسكرة و يزاوّل رسالة التعليم إلى جانب نشاطه الحزبي كمناضل ثم عضو في المجلس الشعبي البلدي لبلدية بسكرة .

تقاعد سنة 1978 ليتفرغ للوعظ و الإرشاد و إلقاء الدروس و المحاضرات في بسكرة و المغرب .

آثاره :

إن آثار الشيخ كلها مخطوطات مكتوبة بخط يده فهو "خزانة العلم المتنقلة خاصة من ناحية اللغة والأدب و مصدرا للأرشيف العلمي و الثوري بما تحتويه مكتبته من

كتب قيمة و مخطوطات ألفها بالإضافة إلى الوثائق التاريخية النادرة والصور و غيرها...1

فقد حدثني قائلا : 1 " في الحقيقة لدي الكثير من الأعمال عبارة عن مخطوطات وهي كما يلي: 1_ مذكراتي و تقع في 21 مصنفا مزودا بالرسائل الخاصة بكل فترة من الفترات .

2_ مخطوط : في ترتيب نزول الوحي.

3_ أسرار التكرار في القرآن للكرماني : قمت بإعادة ترتيبه مع إضافات مفيدة في مجاله مركزا على الجانب اللغوي في ذلك.

4_ مقتطفات من صفوة التفاسير مع تعليقاتي المبنية على أسس علمية ولغوية.

ص 151/ مجلة العربي العدد: 87/ 2005

5_ الرواة و الأئمة للمذاهب الأربعة

6_ السيرة النبوية و التاريخ لبعض الصحابة

7_ مصنف خاص بأدب الرحلات (فيه وصف لرحلاتي التي قمت بها منذ كان عمري 13 سنة).

8_ مصنف خاص بالمحاضرات التي شاركت فيها في كل المناسبات و الندوات كما خصصت جزءا آخر لكلمات التأبين لبعض الشخصيات العلمية لمنطقة الزيبان والمغير ومن بين هذه المحاضرات :

الشيخ محمد العيد آل خليفة (شعره ببسكرة) ،وهي دراسات أدبية اعتمدت فيها التحليل والوصف.

الشيخ عبد الحميد بن باديس في كل مناطق الجزائر،مبديا آرائي حول مساهماته الأدبية والثقافية باعتباره رائد النهضة الفكرية والإصلاحية في الجزائر. ذكرى الشيخ طيفيش بغرداية.

ذكرى حرب التحرير 1383هـ/1954 م.

محاضرة المرأة في المجتمعات قديما و حديثا .

محاضرة الوصايا العشرة في الوعظ والإرشاد.

ذكريات رحلات الزيتونة.

ذكريات الالتحاق بالثورة (حياة الأزهرى).

ومن نماذج آثاره المخطوطة محاولات شعرية من بينها أبيات شعرية حول فلسطين و لبنان فعن الأولى يقول:

1/ عن الشيخ :يوم 2011/12/02 على الساعة 16:00

فلسطين

فلسطين العزيزة لا تراعي	فعين الله راصدة تراعي
وحولك من بني عدنان جند	كثير العد يزأر كالسباع
إذ استصرخيه للحرب لبي	وخف إليك من كل البقاع
يجود بكل مرتخص وغالي	ليدفع عنك غارات الضباع
بليت بهم صيهاته جياعا	فسحقا للصهاينة الجياع
قد اشتهر اليهود بكل قطر	بأن طباعهم شر الطباع
قد اغتر اليهود بما أصابوا	بأرض القدس من بعض القلاع
متى كان اليهود جنود حرب	وكفؤا للأعارب في الصراع
لنا في الحرب غارات كبار	وأيام مخدة المساعي
وهمات تهمني بكل خطب	لنيل الشهادة في اطلاع
وكيف نذل أو نرضى انخفاضا	ونجم جد ودنا نجم ارتفاع

لبنان

غاب لبنان في رقيق من الغيم	كما غاب في مد اليم زورق
ظفر الثلج و السحائب تاجا	واختفى في الضباب ثم تعلق
إيه لبنان يا تشييد الأنسا	شيد و يا صورة النغم المحقق
علم أنت للهوى و الأمانني	يشتهي السحر في حماك فيخلق

خاتمة:

و أخيرا وليس آخرا ، فإن هذه المداخلة ما هي إلا عبارة عن محاولة لنفض الغبار عن رجل وهب حياته للعلم والتعليم و التوعية و الوعظ و الإرشاد، غفل عن أعماله معظم متقفينا لا سيما في الجنوب الشرقي ، و هو منبع للعلم و المعرفة و خاصة في ميدان اللغة و التاريخ و الدين و هو لايزال حي يرزق إلى حد الساعة أطل الله في عمره و أدامه ذخرا لهذه المنطقة علما و تعليما.

أرجو من الله تعالى سداد الرأي و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر و المراجع:

- 1/ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: جمع و تقديم د: أحمد طالب الإبراهيمي، ج1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط1 ، 1997 ، ص 25
- 2/ عن الشيخ: الأزهرى ثابت، في جلسة علمية يوم 2011/11/30 على الساعة: 10:00
- 3/ مجلة العربي العدد: 87 / 2005